سلسلة ما يجب أن يصحح

١٦

كلمة هادئة في

الأشاعرة والماتريدية

بقلم الدكتور

عمر عبد الله كامل

دار الرازي

سلسلة مفاهيم يجب أن تصحح

١٦

كلمة هادئة في

الأشاعرة والماتريدية

بقلم الدكتور
عمر عبد الله كامل

دار الرازي

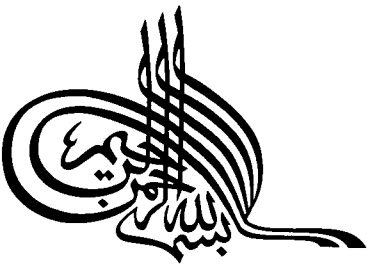

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، هدى مَن سبقتْ له السعادة أزلاً إلى صراطه المستقيم، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق القويم ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل كتابه الكريم مطالباً كل مخالفيه بإبراز ما لديهم من حجة أو دليل فقال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وجعل نور العقل لتمييز صحيح الأدلة والبراهين من سقيمها؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[2].

لذا نعى على مخالفيه اتباعهم آباءهم فقال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[3].

وطالب رسوله ﷺ وأتباعه المؤمنين بالدعوة إليه سبحانه بالحجة

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١١.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٢.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

والبرهان فقال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

والبصيرة معرفة الحق بدليله، فمن لم يكن على بصيرة في عقيدته لم يكن متبعاً للنبي ﷺ ولا مؤتمراً بأمر ربه سبحانه، فالله عز وجل أمر عباده المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين.

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

الأحكام الشرعية

يقول الإمام الشهرستاني:

«ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع؛ فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليًّا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيًّا، فالأصول: هو موضوع علم الكلام، والفروع: هو موضوع علم الفقه» اهـ[1].

ويقول سعد الدين التفتازاني:

«اعلم أن الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل، وتسمى فرعية وعملية، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية، والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام؛ لما أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع، ولا يسبق الفهم عند إطلاق الأحكام إلا إليها، والعلم المتعلق بالثانية علم التوحيد والصفات؛

---

(١) «الملل والنحل» ١/ ٤٠.

لما أن ذلك أشهر مباحثه وأشرف مقاصده»[1].

وقد سمّي علم التوحيد أيضاً بعلم الكلام، وسمّاه أبو حنيفة وغيره الفقه الأكبر.

ومن أحسن تعريفاته أنه «العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية».

وعرّفه بعضهم بالثمرة الناتجة عنه، فهو عندهم: علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير وإلزامه إياها بإيراد الحجج ودفع الشبه.

---

(١) «شرح العقائد النسفية».

المعرفة وركائز علم التوحيد

الفرق بين المعرفة الحسية والمعرفة العقلية:

للعقل القدرة على الاستدلال على وجود وخواص بعض عالم الغيب من خلال قوانينه في عالم الشهادة سواء بالنظر إلى المحسوسات وتحويل هذا الإدراك الحسي إلى إدراك عقلي (حس وعقل معاً)، أو باستدلاله بالقوانين العقلية التي ليس منشؤها الحس، أو لا تتقابل مع الحس وإنما بالاستنتاج أو الفكر.

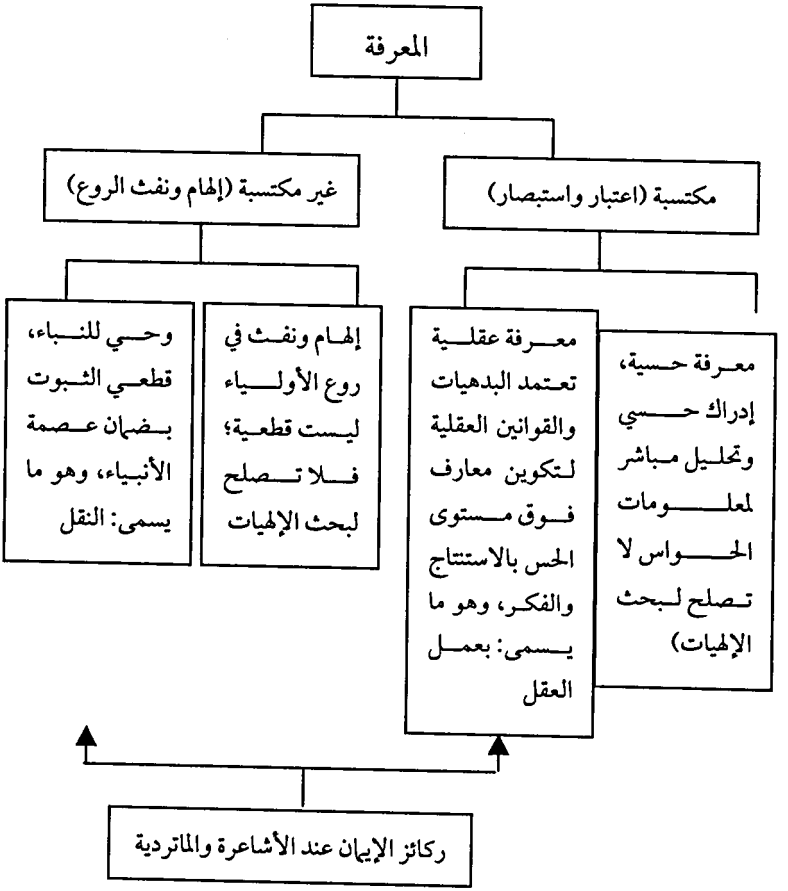
المعرفة
مكتسبة (اعتبار واستبصار)
غير مكتسبة (إلهام ونفث الروع)
معرفة حسية، إدراك حسي وتحليل مباشر لمعلومات الحواس لا تصلح لبحث الإلهيات)
معرفة عقلية تعتمد البدهيات والقوانين العقلية لتكوين معارف فوق مستوى الحس بالاستنتاج والفكر، وهو ما يسمى: بعمل العقل
إلهام ونفث في روع الأولياء ليست قطعية؛ فلا تصلح لبحث الإلهيات
وحي للأنبياء، قطعي الثبوت بضمان عصمة الأنبياء، وهو ما يسمى: النقل
ركائز الإيمان عند الأشاعرة والماتردية

ومن هنا فإن علم التوحيد يرتكز على ركيزتين أساسيتين:

الأولى: الوحي الإلهي، ممثلاً في نصوص الكتاب والسنة.

يقول الإمام الرازي في «تفسيره الكبير» ما حاصله: أن من تتبع القرآن وجد أن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستّ مائة آية، أما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين.

وأنك لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه إلا تقرير هذه الدلائل، والذب عنها، ودفع المطاعن والشبهات القادحة فيها، مقتفياً في ذلك نهج القرآن.

والدليل على أن القرآن هو السبب الرئيس في نشأة هذا العلم: أنه ما من مسألة من مسائله إلا ويستدل عليها بدليل من القرآن.

فالواقع أن القرآن يستدل على العقائد الإيمانية بأقوى الأدلة العقلية اليقينية ولكنه يحذف منها إحدى المقدمات؛ ليتفهم الدليلَ صاحبُ العقل القوي الذي يقوى على ترتيب المقدمات واستنتاج النتائج يفهمه العامي الذي لا يقوي على ترتيب المقدمات ونظم

الأقيسة المنطقية، فالقرآن ينوع له الأدلة فيخاطب عقله مرة وعاطفته مرة أخرى لاستمالته.

الثانية: العقل، وهو غريزة وهبها الله للإنسان يتمكن بها من إدراك الحقائق، وغرس فيه حقائق ضرورية (بدهيات)، وعلّمه كيف يستدل بما شاهده ليعلم ما غاب عنه؛ بأن يجمع كل معلومتين لهما ارتباط مّا لينتج له معلومة ثالثة، وهكذا.

ثم قبله بعد ذلك شاهداً ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[1]، ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[2].

ومن هنا أمر بالنظر العقلي والفكر فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ

---

(١) سورة يس، الآية ٨١.
(٢) سورة يس، الآيتان ٧٨، ٧٩.
(٣) سورة يونس، الآية ١٠١.
(٤) من سورة سبأ، الآية ٤٦.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

فالإسلام أكّد عقائده المستمدة من الوحي الإلهي بالأدلة العقلية اليقينية المرتكزة على الضروريات والبدهيات لا الخيالات أو الأوهام، وأهل السنة (الأشاعرة) في بحثهم لا يسيرون وراء شطحات العقل وأوهامه، بل يستضيئون بنور العقل ونور الشرع معاً.

يقول الإمام الغزالي: «فمثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء... والمستغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء؛ فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، والمكتفي بالعقل عن القرآن كالناظر بعينيه في الظلماء فلا يبصر شيئاً، فالعقل مع الشرع نور على نور» اهـ من «الاقتصاد في الاعتقاد»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

(٢) من المقدمة.

ظهور الفِرَق

يقول الشهرستاني في «الملل والنحل»:

«وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان، كذلك يمكن أن نقرر في زمان كل نبيّ ودور صاحب كل ملة وشريعة: أن شبهات أمّته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين، وأكثرها من المنافقين، وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة -لتمادي الزمان- فلم يخفَ في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي ﷺ؛ إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى، وسألوا عما مُنعوا من الخوض فيه، والسؤال عنه، وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه.

اعتبرْ حديث ذي الخويصرة التميمي إذ قال: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ! حتى قال عليه الصلاة والسلام: «إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلْ؟»،

فعاد اللعين وقال: هذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيد بِهَا وَجْهُ الله تَعَالَى![1] وذلك خروج صريح على النبي عليه الصلاة والسلام، ولو صار من اعترض على الإمام الحق خارجيًّا، فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجيًّا، أو ليس ذلك قولاً بتحسين العقل وتقبيحه؟ وحكماً بالهوى في مقابلة النص؟ واستكباراً على الأمر بقياس العقل؟ حتى قال عليه الصلاة والسلام: «سَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هذَا الرَّجُلِ قَوْمٌ يَمرُقُونَ مِنَ الدِّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...» الخبر بتمامه[2].

واعتبرْ حال طائفة أخرى من المنافقين يوم أُحد إذ قالوا: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾[3]، وقولهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا

---

(١) انظر «صحيح» البخاري (٣٦١٠، ٤٣٥١، ٠٠) و(٣١٥٠، ٠٠)، و(٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤).

(٢) السابق.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ﴾[١]، وقولهم: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ ﴾[٢]، فهل ذلك إلا تصريح بالقدر؟ وقول طائفة من المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾[٣]، وقول طائفة: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ﴾[٤] فهل هذا إلا تصريح بالجبر؟

واعتبرْ حال طائفة أخرى حيث جادلوا في ذات الله، تفكّراً في جلاله، وتصرّفاً في أفعاله، حتى منعهم وخوّفهم بقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٦.
(٣) سورة النحل، الآية ٣٥.
(٤) سورة يس، الآية ٤٧.
(٥) سورة الرعد، الآية ١٣.

فهذا ما كان في زمانه - عليه الصلاة والسلام - وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه، والمنافقون يخادعون فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وإنما يظهر نفاقهم بالاعتراض في كل وقت على حركاته وسكناته، فصارت الاعتراضات كالبذور، وظهرت منها الشبهات كالزروع»[1].

وبعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وظهور الخوارج في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أقدموا على تكفير الصحابة وتكفير مرتكب الكبيرة، وظهرت من بعدهم فرق المعتزلة، وقالوا بوجوب فعل الصلاح والأصلح على الله سبحانه، وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين...، وغير ذلك.

ثم ظهرت القدرية نفاة القدر وقالوا: لا قدر والأمر أنف، وكذا المشبّهة والمجسّمة يشبهون الله بخلقه ويستشهدون بأحاديث في ذلك.

---

(١) «الملل والنحل» ١/ ٢٠.

ثم ظهرت الجهمية أتباع جهم بن صفوان، يقولون بالجبر رداً على القدرية، ويقولون بنفي الصفات التي يوصف بها البشر رداً على المشبهة، حتى إنهم نفوا صفة العلم. إلى أن ظهر الفلاسفة بعد ترجمة كتب الفلسفة.

وقد قام الصحابة والتابعون وتابعوهم بمقاومة هذه الفرق الضالة وكشف شبهاتها.

ومع تقدم الزمان وظهور قوى فكرية أخرى على الساحة غير مسلمة أصلاً من أصحاب الديانات السابقة في البلاد المفتوحة، لم يكن يجدي معهم الاحتكام إلى نصوص القرآن والسنة، ولا قصر استخدام العقل على تفسير النص وفهمه، وكذا انعكس وجود هذه القوى الفكرية على ظهور آثار لنمطها في التفكير في فرق المبتدعة الموجودة، مما أوجب الرد عليهم بالأدلة والحجج العقلية، خاصة بعد أن طرأ فتور على الفتوح، وتفرغ الناس لمتابعة الآراء الغريبة الواردة من غير المسلمين، وكذا قيام أمثال ابن المقفع وعبد الكريم بن أبي العوجاء وطائفة من الزنادقة كانوا يواصلون السعي في نشر

الإلحاد بين المسلمين، وترجمة كتب الملاحدة والثنوية من الفرس حتى استفحل أمرهم، فأمر المهدي علماء الجدل من المتكلمين بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين، فأقاموا البراهين، وأزالوا الشبه، وأوضحوا الحق، وخدموا الدين، وكان القائمون بأعباء تلك المدافعات طائفة من المعتزلة، فأصبحوا بين عدوين: عدو محتال من خارج الملة له آراء وفلسفة تدرّب عليها من عهد قديم ، وعدو مجاف في داخل الأمة كاد جمهور الأمة أن ينحاز إليه لتقشفه، وهذا الجمهور من الفقهاء والمحدثين بعيد عن قضايا العقول راجت عليه تمويهات المضلين من اليهود والثنوية، قصارى عمله الوقيعة في أهل النظر، لا يفرق بين العدو والحميم، ولو وكل إليه الأمر لما أمكن أن يدافع ساعة من نهار، فاشتغل هؤلاء النظّار من علماء الكلام بالأول وتغاضوا عن الثاني، حتى أتموا الرد على الزنادقة وكشفوا عن تمويهاتهم، ثم نقضوا كلام الحشوية واظهروا سخف آرائهم.

وقد علق بنفوس هؤلاء النظّار ما لا يستهان به من أمراض عقلية عدت إليهم من مناظريهم، وكان غالب الفقهاء وحملة السنة طول هذه المكافحات يأبون الخوض في تلك المسائل، ويجرون على

ما كان عليه الصحابة وخيار التابعين من الاقتصار على ما ثبت من الدين بالضرورة، مع إن خصماء الدين كان لهم من الأسلحة ما لا يمكن مقابلته إلا بمثل أسنتهم، وجروا مع المسلمين على طريق التدرج في مراحل العداء والجمهور في غفلة من ذلك، ومشوا بهم إلى مرحلة لو ترك الأمر وشأنه لكاد أن تتسرب شكوكهم إلى قلوب جماعة المسلمين فيطم الخطب، ففي مثل هذه الظروف تولى المأمون، وأخذ يشايع المعتزلة ويقرِّبهم حتى حمل الناس على القول بخلق القرآن والتنزيه حسبما يوحي إليه عقله وعقول خلطائه، ودام الامتحان طول خلافة المعتصم والواثق، وزاد الأخير مسألة نفي الرؤية، فلقي خصوم المعتزلة شدائد استمرت إلى إن رفع المتوكل المحنة، وأظهر الإمام أحمد فيها من الثبات ما رفع شأنه، ولم يكن للمتوكل ما يحمد عليه غير رفعه المحنة ومنع الناس عن المناظرات في الآراء والمذاهب.

ثم ابتدأ رد الفعل يأخذ سيره الطبيعي من ارتفاع شأن الحشوية والنواصب وانقماع أهل النظر والمعتزلة، وأهلُ السنة من الفقهاء

والمحدثين يواصلون العمل في علومهم في غير جلبة ولا ضوضاء، والحشوية يجرون على طيشهم وعمايتهم واستتباعهم الرعاع والغوغاء، ويتقوّلون في الله ما لا يجوّزه الشرع ولا العقل؛ من إثبات الحركة له، والنقلة، والحد، والجهة، والقعود، والإقعاد، والاستلقاء، والاستقرار، إلى نحوها مما تلقوه بالقبول من دجاجلة الملبسين من الثنوية وأهل الكتاب، ومما ورثوه من أمم قد خلت، ويؤلفون في ذلك كتباً يملأونها بالوقيعة في الآخرين، ويخرقون حجاب الهيبة في الإكفار متبرقعين بالسنّة ناسبين أنفسهم إلى السلف، يستغلون ما ينقل عن بعض السلف من الأقوال المجملة التي لا حجة فيها.

وكانت المعتزلة تتغلب على عقول المفكرين من العلماء، ويسعون في استعادة سلطانهم على الأمة، وأصنافُ الملاحدة والقرامطة توغلوا في الفساد واحتلوا البلاد حيث لم يبق في ثغور الدفاع عن الدين من يرابط بحجج دامغة تمحق مخرقتهم؛ لانشغالهم بنفوسهم بما جد من الأحوال.

رجوع الإمام أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال

وقيامه بنصرة مذهب أهل السنة

ففي مثل هذه الظروف الحرجة غار الإمام أبو الحسن الأشعري ﷺ على ما حلّ بالمسلمين من ضروب النكال، وقام لنصرة السنة وقمع البدعة، فسعى أولاً للإصلاح بين الفريقين من الأمة بإرجاعهما عن تطرفهما إلى الوسط العدل قائلاً للأولين: أنتم على الحق إذا كنتم تريدون بخلق القرآن اللفظ والتلاوة والرسم، وللآخرين: أنتم مصيبون إذا كان مقصودكم بالقديم الصفة القائمة بذات الباري غير البائنة منه -كما يقول ابن المبارك- يعني الكلام النفسي - وليس لكم مجال أن تنكروا حدوث لفظ اللافظ وتلاوة التالي، كما أنه ليس للأولين نفي الصفة القائمة به تعالى من غير لفظ ولا صوت.

وقائلاً أيضاً: نفي المحاذاة والصورة صواب، غير أنه يجب عليهم الاعتراف بالتجلي من غير كيف.

وللآخرين: إياكم وإثبات الصورة والمحاذاة وكل ما يفيد الحدوث، وأنتم على صواب إن اقتصرتم على إثبات الرؤية للمؤمنين في الآخرة من غير كيف.

وهكذا حتى وفقه الله لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، وقمع المعاندين وكسر تطرفهم. وتواردت عليه المسائل من أقطار العالم فأجاب عنها، فطبق ذكره الآفاق وملأ العالم بكتبه وكتب أصحابه في السنة ردًّا على أصناف المبتدعة والملاحدة وأهل الكتاب، وتفرق أصحابه في بلاد العراق وخراسان والشام وبلاد المغرب.

وبعد وفاته بيسير – رحمه الله – استعاد المعتزلة بعض قوتهم في عهد بني بويه، لكن الإمام ناصر السنة أبا بكر بن الباقلاني قام في وجههم وقمعهم بحججه، ودانت للسنّة على الطريقة الأشعرية أهل البسيطة إلى أقصى بلاد إفريقية، وقد بَعث ابن الباقلاني في جملة من بعث من أصحابه إلى البلاد أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأزدي إلى الشام ثم إلى قيروان وبلاد المغرب فدان له أهل العلم من أئمة المغاربة، وانتشر المذهب إلى صقلية والأندلس، ولابن

أبي زيد وأبي عمران الفاسي وأبي الحسن الفاسي وأبي الوليد بن الباجي وأبي بكر بن العربي وتلامذتهم أيادٍ بيضاء في ذلك، وقام بنشر المذهب في الحجاز راوية «الجامع الصحيح» الحافظ أبو ذر الهروي، وأخذ عنه من ارتحل إليه من علماء الآفاق، وكان انتشاره بالشام قبل ذلك بواسطة صاحب الأشعري أبي الحسن عبد العزيز الطبري راوية «تفسير» ابن جرير عن مؤلفه، وكان أهل الشام يجتلبون كبار الأئمة من المذهب الأشعري حيناً بعد حين، كالإمام قطب الدين النيسابوري اجتلبه نور الدين الشهيد على طلب العلماء.

وكان جماعة من المقادسة الحنابلة ممن ورثوا بعض آراء ابن كرّام الذي كان عشش بالقدس وباض، وترك أصحاباً له متقشفين هاجروا من القدس لما احتلها النصارى، وحملوا بدع التشبيه إلى الشام، وكان بها شيء من تلك البدع من عهد عبد الواحد الشيرازي صاحب أبي يعلى، وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي يرعى خاطرهم لكونهم مهاجرين زهاداً ويتغاضى عن معتقدهم، ولم يكن

يحمل الناس على المذهب الأشعري كما ظُن، بل كان الواعظ ابن نجية الحنبلي المشهور مقرباً عنده، ومجافاته القاسية مع الإمام الشهاب الطوسي القائم بنصرة الأشعري بمصر تجريّ على منظر منه ومسمع ويسكت عن ذلك، بل كاد آلُه أن ينحازوا إليهم في المعتقد لولا وقفة الإمام عز الدين بن عبد السلام في هذه المسألة وقفة عالم يقوم بواجبه، فتضاءلت أصواتهم، وانجمعوا في ديارهم، واقتصروا على الروايات، فيظهر من جميع ذلك أن انتشار المذهب الأشعري في البلاد كان بسلطان العلم لا بشوكة السلاطين، وما وقع ببغداد وغيرها من بعض التشدد على الحشوية بين حين وآخر فلإخلالهم بالأمن وإحداثهم القلاقل.

وفقهاء المذاهب يتجاذبون الأشعري إلى مذاهبهم، ويترجمونه في طبقاتهم، والحنابلة أحق بذلك حيث يصرح الأشعري في مناظراته معهم أنه على مذهب أحمد، لكنهم لا يترجمونه في طبقاتهم، ولا يعدونه منهم، بل يمقته الحشوية منهم فوق مقت المعتزلة.

فالمالكية كافة، وثلاثة أرباع الشافعية، وثلث الحنفية، وقسم من

الحنابلة على هذه الطريقة من الكلام من عهد الباقلاني، والثلثان من الحنفية على الطريقة الماتريدية في ديار ما وراء النهر، وبلاد الترك والأفغان والهند والصين وما والاها، إلا من انحاز منهم إلى الاعتزال، كبعض الشافعية.

ومن خصائص مذهب عالم المدينة: كونه ينفي خبث البدع عن أهل مذهبه، فلا تجد بين المالكية بدع الاعتزال والتشبيه، ومما أفاد في ذلك -على ما أحسبه - منع مالك رواية أخبار الصفات، كما كان أحمد يمنع من رواية أحاديث الخروج على ظلمة الولاة؛ فأفاده في تغاضي خلفاء بغداد عن الحنابلة مهما عملوا، بل في تقريبهم، نعم يوجد عند بعض المالكية نوع غلو في التصوف من عهد ابن تومرت.

وبعض الحنابلة على مسلك السلف في التفويض وترك الخوض، وبعضهم انحاز إلى المعتزلة، وكان غالبهم - على تعاقب القرون - حشوية على الطريقة السالمية والكرّامية، إلى أن جعل الظاهر بيبرس قضاء القضاة في المذاهب الأربعة لأول مرة، فاتصلوا بعلماء أهل

السنة يفاوضونهم في العلم؛ فأخذت تزول أمراضهم البدعية، وكاد أن لا يبقى بينهم حشوي.

قال التاج السبكي في «معيد النعم ومبيد النقم»: «وهؤلاء الحنفية، والشافعية، وفضلاء الحنابلة يد واحدة: كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرّأ الله المالكية؛ فلم نر مالكيًّا إلا أشعري العقيدة. وقال الإمام أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يبغض مالكاً فاعلم أنه مبتدع» اهـ.

والأشعرية هم العدل الوسط بين المعتزلة والحشوية؛ لا ابتعدوا عن النقل كما فعل المعتزلة، ولا عن العقل كعادة الحشوية، ورثوا خير مَن تقدمهم، وهجروا باطل كل فرقة، حافظوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وملأوا العالم علماً، ويوجد بينهم من ينتمي إلى التصوف من مناصرة بعض الأئمة من الصوفية للسنة على الطريقة الأشعرية منذ القرن الخامس، ولا يوجد من يوازن الأشعري بين

المتكلمين؛ باعتبار ما قام به من العمل العظيم .

أما إمام الهدى أبو منصور الماتريدي شيخ السنة فيما وراء النهر فقد كانت السنّة هناك متغلّبة على أصناف المبتدعة تغلباً تامّاً لا تظهر مشاغباتهم معه؛ فتمكن من الجري على الاعتدال التام في أنظاره؛ فأعطى النقل حقه، والعقل حكمه.

والماتريدية هم الوسط بين الأشاعرة والمعتزلة، وقلما يوجد بينهم متصوف.

فالأشعري والماتريدي هما إماما أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها، ولهما ولأتباعهما كتب لا تحصى، وغالب ما وقع بين هذين الإمامين من الخلاف من قبيل الخلاف اللفظي، وقد دونت عدة كتب في ذلك، وقد أحسن تلخيصها البياضي في «إشارات المرام من عبارات الإمام»، ونقل نصه الزبيدي في «شرح الإحياء».

أهل السنة الأشاعرة والماتريدية

بين التأويل والتفويض

التأويل: هو صرف اللفظ عن المعنى الحقيقي القريب المستحيل على الله تعالى إلى معنى آخر مجازي يحتمله اللفظ يجوز إطلاقه على الله مع وجود القرينة الدالة على المعنى المجازي.

قال الإمام النووي في شرحه لحديث (النزول) في «صحيح» مسلم:

«هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء... ومختصرها:

[أ] أن أحدهما، وهو مذهب جمهور السلف، وبعض المتكلمين: أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يُتكلم في تأويلها، مع اعتقاد تنزيه الله – تعالى – عن... سائر سمات الخلق.

[ب] والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف، وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي: أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين...» اهـ[1].

فالمذهب الأول -الذي شرحه الإمام النووي - هو التفويض، والثاني هو التأويل.

أو قل -إن شئت-: إن المذهب الأول (التفويض) هو تأويل إجمالي؛ حيث إنه قد نفى المعنى الظاهر المستحيل على الله. والثاني هو تأويل تفصيلي؛ حيث إنه بعد أن نفى المعنى الظاهر القريب قدم المعنى الآخر المحتمل للفظ بمعونة القرائن الدالة على ذلك المعنى.

وهذا مع وجود ضابطين لعليّة التأويل:

الأول: وجود الضرورة الباعثة على ذلك، مثل: انتشار أهل البدع، كالمجسمة وغيرهم، واستيلائهم على عقول العوام، وزلزلتهم عقائدهم إن لم يتم لهم ذلك.

الثاني: عدم الجزم بالتأويل المذكور؛ لاحتمال أن يكون هناك تأويل آخر أصح ويكون هو المقصود.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي ٦/ ٣٦-٣٧.

التأويل والتفويض عند الأشعري والسلف

نماذج للتأويل والتفويض عند الأشعري:

أولاً: الإمام الأشعري:

١- قال الأشعري في كتاب «الإبانة»:

«وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواءً منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحَمَلته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد» اهـ[1].

٢- وقال في «مقالات الإسلاميين»:

---

(١) «الإبانة» ص٢١، ط. دار الأنصار.

«وأن الله تعالى على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1] وأن له يدين بلا كيف»[2] اهـ.

٣- وقال أيضاً في مقدمة «الإبانة»:

«تقدَّس عن ملابسة الأجناس والأرجاس، ليست له صورة تقال، ولا حد يضرب له مثال» اهـ.

فهذا تنزيه مع التفويض (التأويل الإجمالي).

٤- وقال أيضاً في «رسالة أهل الثغر» له:

«وأجمعوا على أنه -عز وجل- يرضى عن الطائعين له، وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم، وأنه يحب التوابين، ويسخط على الكافرين، ويغضب عليهم، وأن غضبه إرادته لعذابهم» اهـ[3].

فهاهنا نجد أن الأشعري يؤول الغضب والرضا، وهو تنزيه مع التأويل التفصيلي.

---

(١) سورة طه، الآية ٥.

(٢) مقالات الإسلاميين ص ٢٩٠.

(٣) «رسالة إلى أهل الثغر» ص٢٣١.

نماذج للتأويل والتفويض عند السلف:

١- تأويل ابن عباس رضي الله عنهما:

أوّل ابن عباس قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[١] فقال: «يكشف عن شدة». فأول الساق بالشدة[٢].

وأول أيضاً النسيان الوارد في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[٣]. بالترك، كما في «تفسير» الطبري، قال ابن جرير: «أي: ففي هذا اليوم - وذلك يوم القيامة - (ننساهم)، يقول: نتركهم في العذاب...» اهـ[٤].

فقد أوّل ابن جرير النسيان بالترك، وهو صرف لهذا اللفظ عن ظاهره لمعنى مجازي. ونقل ابن جرير هذا التأويل الصارف عن الظاهر ورواه بأسانيده عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم.

---

(١) سورة القلم، الآية ٤٢.

(٢) ابن حجر «فتح الباري» ١٣/ ٤٢٨، الطبري في «تفسيره» ٢٩/ ٣٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥١.

(٤) «تفسير» الطبري ٥/ ٥٠٩.

٢- تأويل الإمام أحمد ﷺ:

قال البيهقي في «مناقب أحمد»: وأنبأنا الحاكم، قال: حدثنا أبو عمرو بن السماك، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: سمعت عمي أبا عبد الله - يعني الإمام أحمد - يقول:

«احتجوا عليّ يومئذ - يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين- فقالوا: تجيء سورة البقرة يوم القيامة[1]، وتجيء سورة تبارك[2]. فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال الله تعالى:﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[3] إنما تأتي قدرته، وإنما القرآن أمثال ومواعظ».

قال البيهقي: «هذا إسناد صحيح لا غبار عليه».

ثم قال:

---

(١) انظر «صحيح» مسلم (٨٠٤).

(٢) لم أجد حديثاً في فضل سورة الملك فيه لفظ «تجيء»، وانظر في فضلها ما يفيد ذلك معنى: «سنن» أبي داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩٠، ٢٨٩١).

(٣) سورة الفجر، الآية ٢٢.

«وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة – انتقالاً من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، فإنهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان؛ فأجابهم أبو عبد الله: إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ، فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه. وهذا الجواب الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحذاق من أهل العلم المنزَّهون عن التشبيه» اهـ[1].

وفي هذا الحديث ثلاثة تأويلات، هي:

- تأويل مجيء سورة البقرة يوم القيامة كما في الحديث الصحيح.
- تأويل مجيء سورة تبارك.
- بالإضافة إلى تأويل آية ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾.

---

(١) انظر مقدمة «الأسماء والصفات».

وهـذا الخـبر عن الإمام أحمد قد نقله الخلال بسنده في كتاب «السنة» وابـن كثـير أيـضاً في «الـبداية والنهاية»[1] من غير انتقاد، كما نقل ابن حزم في «الفصل»[2] تأويل الإمام أحمد آية ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾.

تأويل آخر للإمام أحمد ﷺ أيضاً:

يقـول حجـة الإسلام الغزالي: «سمعت الثقات من أئمة الحنابلة بـبغداد يقولـون: إن أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط:

أحدها: قوله ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»[3].

والثاني: قوله ﷺ: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»[4].

---

(١) ١٠/ ٣٢٧.

(٢) ٢/ ١٣٢.

(٣) انظر تخريجه في «كشف الخفاء» للعجلوني ١/ ٣٤٨-٣٤٩.

(٤) انظر «صحيح» مسلم (٢٦٥٤).

والثالث: قوله ﷺ: «إني لأجد نَفَس الرحمن من قِبَل اليمن»[1][2].

وحصرهم تأويلات الإمام أحمد في هذه النصوص الثلاثة هو من جهة ما بلغهم فقط.

وقال الحافظ ابن كثير - أيضاً- في «البداية والنهاية»:

«ومن طريق أبي الحسن الميموني، عن أحمد بن حنبل: أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[3] قال: يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه هو المحدث.

وعن حنبل، عن أحمد أنه قال: يحتمل أن يكون ذكراً آخر غير القرآن» اهـ[4].

---

(١) رواه من حديث سلمة بن نفيل السكني: الطبراني في «المعجم الكبير» ٧/ ٥٢، ومن حديث أبي هريرة: الطبراني في «مسند الشاميين» ٢/ ١٤٩، ورواه أحمد من حديثه ٢/ ٥٤١ بلفظ «نفس ربكم».

(٢) «فيصل التفرقة» مجموعة القصور العوالي ص١٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢.

(٤) «البداية والنهاية» ١٠/ ٣٢٧.

وقال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: قال أبو الحسن عبد الملك الميموني: قال رجل لأبي عبد الله -أي أحمد بن حنبل-: ذهبت إلى خلف البزار أعظه بلغني أنه حدث بحديث عن الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: «ما خلق الله شيئاً أعظم...» وذكر الحديث. فقال أبو عبد الله: ما كان ينبغي أن يحدث بهذا في هذه الأيام -يريد زمن المحنة». قال الذهبي: «والمتن: «ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي»، وقد قال أحمد بن حنبل: لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة: إن الخلق واقع ههنا على السماء والأرض وهذه الأشياء، لا على القرآن»[1].

٣- تأويل الإمام النضر بن شميل ﷺ:

وهو الإمام الحافظ اللغوي، من رجال السنة، ولد سنة (١٢٢هـ). ذكر الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» أن النضر بن شميل

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٧٨)

الحافظ السلفي قال: إن معنى حديث: «حتى يضع الجبار فيها قدمه»[1] أي: «من سبق في علمه أنه من أهل النار»[2].

٤- تأويل الإمام مالك والأوزاعي:

قال النووي في «شرحه» لـ«صحيح» مسلم عند حديث النزول: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء.. ومختصرها:

أن أحدهما، وهو مذهب جمهور السلف، وبعض المتكلمين: أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف عليه في حقنا غير مراد، ولا يُتكلم في تأويلها، مع اعتقاد تنزيه الله -تعالى- عن... سائر سمات الخلق.

---

(١) رواه من حديث أنس: البخاري (٤٨٤٨، ٦٦٦١، ٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)، ومن حديث أبي هريرة: البخاري (٤٨٤٩، ٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦، ٢٨٧٤). وباللفظ رواه الدارقطني في «الصفات» (٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) «الأسماء والصفات» ص٤٤٤.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين، وجماعات من السلف، وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي: أنها يُتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها. فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين» اهـ[1]، أي المذكورين. اهـ.

٥- تأويل الإمام هشام بن عبيد الله ﷺ (ت ٢٢١هـ):

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته: «الرازي السني الفقيه أحد أئمة السنة».

ثم قال الذهبي: «قال محمد بن خلف الخراز: سمعت هشام بن عبيد الله الرازي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق. فقال له رجل: أليس الله يقول ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾[2] فقال: محدث إلينا، وليس عند الله بمحدث.

قلت: لأنه من علم الله، وعلم الله لا يوصف بالحدوث» اهـ والأخير كلام الحافظ الذهبي[3].

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي ٦/ ٣٦-٣٧.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢.
(٣) سير إعلام النبلاء (١٠/ ٤٤٦)

٦- تأويل الإمام سفيان الثوري ﷺ:

ذكر الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة سيد الحفاظ في زمانه الإمام الثوري: أن معدان سأل الإمام الثوري عن قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[١]، فقال: «علمه»، وسئل سفيان عن أحاديث الصفات فقال: «أمرّوها كما جاءت. اهـ[٢].

٧- تأويل الإمام عبد الله بن المبارك ﷺ:

روى الإمام البخاري: حدثنا محمد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد ابن بشار، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما أنا أمشي معه إذ جاءه رجل فقال: يا بن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه... قال ابن المبارك: كنفه: يعني ستره. اهـ[٣].

فها هنا نجد الإمام عبد الله بن المبارك يؤوِّل (الكنف) بأنه: الستر.

---

(١) سورة الحديد، الآية ٤.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٧٤.

(٣) «خلق أفعال العباد» ص٦١، ونقله الحافظ ابن حجر أيضاً في «فتح الباري» ١٣/ ٤٧٧.

٨- تأويل الإمام الترمذي ﷺ:

عند روايته حديث: «.... لو أنكم دلَّيتم رَجلاً بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله» ثم قرأ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]؛ قال الإمام الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه...، وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلمُ الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف في كتابه» اهـ[2].

٩- تأويل الإمامين سفيان بن عيينة والترمذي -أيضاً- رضي الله عنهما:

لمّا روى الإمام الترمذي حديث إتيان البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان قال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه. ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم: أنه يجيء ثواب قراءته. كذا فسر بعض أهل العلم: هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث: أنه يجيء ثواب قراءة القرآن. وفي حديث النواس عن النبي ﷺ ما يدل على ما

---

(١) سورة الحديد، الآية ٣.

(٢) «سنن» الترمذي، الحديث (٣٢٩٨).

فسروا؛ إذ قال النبي ﷺ: «وأهله الذين يعملون به في الدنيا»؛ ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل.

حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود قال: «ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي»، قال سفيان: لأن آية الكرسي هو كلام الله، وكلام الله أعظم من خلق الله من السماء والأرض. اهـ[1].

١٠- تأويل الإمام الأعمش ﷺ:

وروى الإمام الترمذي -أيضاً- الحديث المشهور: «أنا عند ظن عبدي بي .... وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». وقال: هذا حديث حسن صحيح. ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً» يعني بالمغفرة والرحمة. وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث؛ قالوا: إنما معناه: يقول: إذا تقرب

(١) «سنن» الترمذي (٢٨٨٣، ٢٨٨٤).

إليّ العبد بطاعتي وما أمرت أُسرع إليه. بمغفرتي ورحمتي. اهـ.[1]

فهذا تأويل من بعض السلف للإتيان والهرولة.

وقال بهذا التأويل من بعدهم جمع من أهل العلم؛ كالطيبي، والعيني، وابن بطال، وابن التين، والنووي، وغيرهم.

قال ابن دقيق العيد في العقيدة:

«نقول في الصفات المشكلة: إنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله. ومن تأولها نظرنا: فإن كان تأويله قريباً على مقتضى لسان العرب: لم ننكر عليه. وإن كان بعيداً: توقفنا عنه، ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه. وما كان منها معناه ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب: حملناه عليه، كقوله: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[2]، فإن المراد به في استعمالهم الشائع: (حق الله)، فلا يتوقف في حمله عليه،

---

(١) «سنن» الترمذي (٣٦٠٣).

(٢) سورة الزمر، الآية ٢٦.

وكذا قوله: «إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»[1]، فإن المراد به: إرادة قلب ابن آدم مصرفة بقدرة الله وما يوقعه فيه، وكذا قوله تعالى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾[2] معناه: خرب الله بيوتهم، وقوله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾[3] معناه: لأجل الله، وقسْ على ذلك، وهو تفصيل بالغ قلَّ من يتيقظ له».

وقال الحافظ الترمذي في «سننه»: «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة، مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع، وغيرهم - أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث، ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث؛ أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها، ولا تفسر، ولا تُتوهم، ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه» اهـ[4].

هذا هو مذهب السلف - رحمهم الله- فهم يفوضون في المعنى

---

(١) انظر «صحيح» مسلم (٢٦٥٤).

(٢) سورة النحل، الآية ٢٦.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٩.

(٤) «سنن» الترمذي عند الحديث (٢٥٥٧).

ولا يفسرون.

من كلام الإمام أحمد في التنزيه:

قال الإمام أحمد بن حنبل: «والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش»[1].

وقد أنكر الإمام أحمد على من يقول بالجسم وقال: «إن الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض وسُمْك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسماً؛ لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجيء في الشريعة ذلك؛ فبطل» اهـ[2].

فهل قال الأشعري أكثر من ذلك؟؟

فالتنزيه محل إجماع من أهل السنة جميعاً.

---

(١) «العقيدة» لأحمد بن حنبل، رواية مسدد بن مسرهد، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ ص١٠٨.

(٢) «العقيدة» للإمام أحمد، ص١١١.

الفرق بين قول أهل السنة الأشاعرة والماتريدية وبين قول الفلاسفة

في:	أهل السنة الأشاعرة والماتريدية	الفلاسفة
المنهج	مصادر عقائدهم هي نصوص الشرع، والعقل هو الشارح المبين لهذه النصوص، ثم هو المدافع عنها بعد ذلك بالأدلة العقلية	مصدر الفلاسفة العقل مستقلاً عن أي تأثير
القضايا	التزم أهل السنة الأشاعرة والماتريدية بنصوص الشرع الواردة في الموضوع، مثل:	التزم الفلاسفة بعدد من القضايا الاعتقادية أدتهم إليها عقولهم، وهي كفريات تصادم الشرع، مثل:
	١ - كل ما سوى الله حادث	١ - قدم العالم

	٢- الله بكل شيء عليم، بكليات الأمور وجزئياتها	٢- عدم علم الله سبحانه بالجزئيات
	٣- الإيمان بإحياء الأجساد كما أنشأها أول مرة سبحانه	٣- إنكار بعث الأجساد، وإثبات البعث الروحاني فقط

مع الجهمية

في:	أهل السنة الأشاعرة والماتريدية	الجهمية
المنهج	يثبتون الأفعال لله خلقاً وإيجاداً، وللعباد اكتسابا	يقولون بالجبر

	يثبتون الصفات الواردة في الشرع، وينفون التشبيه	يقولون بنفي الصفات الإلهية التي يوصف بها البشر، حتى إنهم نفوا صفة العلم - مثلاً - هروباً من التشبيه
القضايا	كلام الله غير مخلوق	يقولون بخلق القرآن
	يؤمنون ببقاء الجنة وبقاء النار حسبما ورد به الشرع	يقولون بفناء الجنة والنار

مع المعتزلة

في	أهل السنة الأشاعرة والماتريدية	المعتزلة
المنهج	يقدمون النص على العقل	يقدمون العقل على النص

القضايا	لا يقولون بوجوب شيء على الله	يقولون بوجوب الصلاح والأصلح على الله
	لا يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، فمن قال: «لا إله إلا الله» مخلصاً؛ فهو مؤمن حتى لو وقع في الكبائر	يقولون بالمنزلة بين المنزلتين*، وخلود مرتكب الكبيرة في النار
	يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، أما ألفاظنا وكتابتنا فمخلوقة	يقولون بخلق القرآن

* المنـزلة بـين المنزلتين: هي أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وأيضاً ليس بكافر، بل هو في منزلة بينهما.

	أثبتوا الأفعال للرب سبحانه بالخلق والإيجاد، وللعبد بالاكتساب	يقولون بنفي القدر
	لا يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين	يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين

مع المجسمة والمشبهة

في	أهل السنة الأشاعرة والماتريدية	المجسمة والمشبهة
المنهج	أثبتوا العقائد المستمدة من النصوص القطعية الثبوت بعد تسليط العقل الصحيح على هذه النصوص	إثبات عقائدهم في التجسيم بأية نصوص حتى لو كانت غير ثابتة، وتصور الذات الإلهية في صور حسية اعتماداً على المعرفة الحسية مع البعد تماماً عن أية قواعد أو ثوابت عقلية تهدم هذا التصور
	إعمال الشرع والعقل جميعاً	إلغاء لدور العقل، مع إفساد نصوص الشرع

القضايا	نزهوا صفات الذات الإلهية المقدسة عن النزول إلى حضيض الأجسام أو مماثلتها	ذهب بعضهم إلى إثبات التجسيم الكامل ولوازمه، وذهب آخرون إلى إثبات التشابه فقط، وأثبتوا اللوازم
	نفوا أي مشابهة أو مماثلة بين الله وبين خلقه	أثبتوا قيام الحوادث بالذات الإلهية المقدسة، والحركة، والسكون، وشغل الأماكن والجهات،... إلخ

ويتضح من المقارنة السريعة بين أهل السنة والجماعة - أعني الأشاعرة والماتريدية- وبين نماذج من أشهر الفرق التي يغبن أعداء السنة أهلها وينسبونهم إلى هذه الفرق خلطاً للحق بالباطل وصرفاً للعوام عن السنة وأهلها - أن بُعد ما بين الأشاعرة والماتريدية وبين أي من هذه الفرق هو بعد المشرقين. نسأل الله الهداية والتوفيق لأمة سيد الخلق ﷺ. آمين.

(أسباب نشأة علم الكلام وتدوينه)

يرى كثيرون أن علم الكلام لم يكن موجوداً في عصر النبي ﷺ، وأنه ابتدأ في الظهور في أواخر القرن الأول الهجري، ولم تتحدد معالمه ولم يكتمل نموه إلا على يدي أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة في أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع الهجري.

وهو لم يظهر إلى الوجود دفعة واحدة، بل ظهر تدريجياً ومسألة مسألة حسب ما كان يظهر من شبهات حول القضايا الإيمانية، إما من داخل الجماعة الإسلامية نفسها وإما من خارجها، وكان ينبري للشبهات أحد أعلام الإسلام الذين قيضهم الله تعالى لرد الشبه عن دينه، ورد كيد الضالين والمعاندين إلى نحورهم، ومن هنا كان يظهر هذا العلم إلى الوجود رويداً رويداً.

ويعلل الباحثون سبب ظهوره المتأخر عن ظهور الإسلام، أو سبب عدم ظهوره في عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين بتعليلات مختلفة يُظهر بعضها الصحابة بمظهر المقلدين في العقائد الإيمانية، أو المؤمنين بغير دليل، وهذا باطل.

فالحق أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يؤمنون بأقوى الأدلة اليقينية التفصيلية لا الإجمالية؛ لأنهم كانوا هداة، وكانوا دعاة الناس إلى الإسلام، فكيف يدعو غيره من لا يؤمن عن يقين؟ والدليل على ذلك: قول الرسول ﷺ عن أبي بكر ﷺ: «لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر»[1]، وما ذلك إلا لكثرة الأدلة ووضوحها، غاية الأمر أنهم ببركة صحبة النبي ﷺ وقرب العهد بزمانه كانوا مستغنين عن ترتيب المقدمات وتهذيب الدلائل على الوجه الذي ينطبق على القواعد المدونة الآن، ولكنها لا تخلو عنها، ولا تقلّ عنها، بل بقرائن الأحوال التي كانوا يشاهدونها من النبي ﷺ.

أما سبب عدم سؤالهم عن متشابهات القرآن: فهو أنهم كانوا يعلمون علم اليقين أن معانيها الظاهرة غير مرادة في جانب الله تعالى، وإنما هذه تعابير مجازية جاء بها القرآن مجاراة للغة العربية المليئة بالمجازات والاستعارات، سيما وقد نزل القرآن في عصر اتفق جميع الرواة على أنه من أسمى عصور البلاغة عند العرب، فكانت

(١) انظر لتخريجه «كشف الخفاء» ٢/ ١١٢٦ (٢١٣٠).

هذه الآيات لا تثير أي إشكالات عند الصحابة، رضي الله عنهم؛ لأنهم كانوا يفهمون أنه معنى مجازي، وأن معناه الحقيقي غير مراد في جانب الله تعالى، فلما اختلط المسلمون بالشعوب التي دخلت في الإسلام حديثاً، وكانوا لا يتذوقون بلاغة اللغة العربية ولا يفهمون مجازاتها؛ ابتدأوا يسألون عن هذه الآيات المتشابهة، وهل يراد معناها الظاهري أَم ماذا؟ خاصة وقد كان فيمن يسأل يهود يميلون إلى التجسيم في جانب الله تعالى؛ ولذلك انبرى علماء الإسلام الكبار ينزِّهون الله تبارك وتعالى عن مشابهة الحوادث، ويؤوِّلون هذه الآيات التي يوهم ظاهرها مشابهة الله تعالى للحوادث بالرجوع إلى اللغة العربية الأصلية في مهدها قبل أن تختلط بلغات الأعاجم، وجعلوا يفسرون هذه الآيات بأقوال الشعراء والفصحاء من العرب الخلَّص.

وفي موضوعنا هذا - وهو أسباب نشأة علم الكلام- يجب أن يفرق بين نشأة العلم كمسائل، وبين نشأة تدوينه وإفراده في كتب بعينها.

وعلم الكلام بالمعنى الذي حدده به ابن خلدون في «مقدمته» فهو: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف

وأهل السنة» - لا بد من الإقرار بأن واضعه هو أبو الحسن الأشعري ومتابعوه من علماء أهل السنة والجماعة.

أما لو عرَّفناه بالتعريف المختار؛ وهو «العلم بالعقائد الإيمانية عن أدلتها اليقينية» - فلابد من التسليم بأن واضعه النبي ﷺ والصحابة معه والسلف الأول؛ وذلك لأنه ﷺ جاء بدين جديد يعارض الأديان الموجودة لا في الجزيرة العربية وحدها بل في العالم أجمع؛ فلا بد من أن يثبت عقائد دينه بالأدلة اليقينية، ويهدم عقائد معارضيه ويبين ما فيها من تهافت وتناقض يستدعي أن يهجرها أصحابها إلى الدين الجديد الذي ارتضاه الله لعباده، وهذا هو موضوع علم التوحيد، فالنبي ﷺ والصحابة - رضي الله عنهم - والسلف الأول هم الذين وضعوا العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وتوحيد، إلا أنهم لم يدوّنوها؛ لاستغنائهم عن ذلك التدوين بصفاء عقائدهم وقلوبهم وعقولهم ببركة صحبة النبي ﷺ. هذا أولاً.

وثانيًا: كانوا ممنوعين من تدوين غير القرآن؛ لئلا يختلط غيره به.

ثالثًا: كان العرب في زمن النبي ﷺ أمة أمية لا علوم لها ولا

حضارة، وكان فيهم قلة يكتبون حين بُعث ﷺ، قيل: كانوا عشرة يقرأون ويكتبون. وقيل: كانوا ثمانية عشر رجلاً وبعض النساء. فلم تكن هناك حاجة ماسة إلى التدوين، وإنما استجدّت الحاجة بعد ذلك بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية وكثرة المجادلات مع المخالفين؛ لأنه في زمنه ﷺ كان هو المرجع في كل شبهة، والسراجَ في كل ظُلمة، فكان يحسم كل شبهة وكل اختلاف بقوة حجته وحسن مجادلته، فلما لحق ﷺ بالرفيق الأعلى، وكثرت الفتن بعد مقتل عثمان وحروب علي ومعاوية - رضي الله عنهم أجمعين - وبعد ظهور الفِرَق المختلفة، وكثرت الواقعات، وكثرت الفتاوى باختلاف - المفتين مست الحاجة إلى تدوين هذه العلوم، فقام علماء كل علم بترتيب المسائل بأدلتها، وذكروا الشُّبَه والأجوبة التي ردوا بها عليها في كل علم على حدة، ودونوها في كتب؛ ليرجع إليها طلاب العلم في كل حين، فتمايزت العلوم الشرعية، وهذا العلم بصورته الآن لم يكن مدوّناً في عصر النبي ﷺ ولا في عصر الخلفاء الراشدين، وإنما ابتدأ تدوينه في حدود المئة من الهجرة.

فعلم الكلام لم ينشأ نتيجة سبب واحد بعينه، وإنما نشأ نتيجة

أسباب متعددة وعوامل متضافرة اقتضت وجوده على الصورة المعروفة، وهذه الأسباب:

السبب الأول:

الاقتداء بالقرآن الكريم.

فقد كان القرآن أحد الأسباب الرئيسة في نشأة علم الكلام، إن لم يكن هو السبب الأقوى والأهم، فبجانب دعوة القرآن إلى العقائد الإسلامية، فقد عرض لأهم الفِرَق والأديان التي كانت منتشرة في عهد النبي ﷺ، فردّ عليهم، ونقض عقائدهم بالحجج الداحضة لها، فردّ على الدهريين المنكرين للإله والنبوات الذين كانوا يقولون: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[1] - بآيات كثيرة تسند الإحياء والإماتة والتصرف في الملك إلى الله الواحد القهار، ورد على المشركين الذين ألَّهوا الكواكب بمثل قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٤.

رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾[1]، وردَّ على النصارى الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، أو: حل فيه الله، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]، وردّ على الذين أنكروا الحشر والنشر بمثل قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[3].

وقد أفاض القرآن في مجادلة اليهود والنصارى وأهل الأديان المخالفة، وأمر الله تعالى رسوله ﷺ في القرآن أن يدعُوَ دعوته ويجادل مخالفيه بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[4]، فالمدعُوّ بالحكمة قوم، وبالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم.

فكان طبيعياً أن ينهج علماء الإسلام نهج القرآن فيردوا على المخالفين، ويتوسعوا في الدفاع بالحجج كلما توسع المخالفون في

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٩.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.
(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

الهجوم بالشُّبَه على عقائد الإسلام، فالقرآن هو الذي سَنّ لهم هذه السنة، وهم اقتفوا أثره، واتخذوه قدوة، كما يقول فخر الدين الرازي.

السبب الثاني:

الخلافات السياسية التي ساعدت على ظهور فرق كالخوارج والشيعة... إلخ.

السبب الثالث:

التقاء المسلمين بحضارات وديانات الأمم التي فتح بلادها المسلمون، مما ترتب عليه صراع عقائدي بينها وبينهم، كالفُرس، والروم؛ فبلاد الفرس كانوا ثنويين، والرومان كانوا نصارى.

السبب الرابع:

حركة الترجمة التي بدأت في أواخر العصر الأموي على يد خالد بن زيد الأموي، وازدهرت في العصر العباسي مما ترتب عليه انتقال الفلسفة اليونانية إلى المسلمين، وفيها المنطق والعلوم الرياضية والطبيعية، فأدى ذلك إلى وجود نشاط فكري هائل امتدّ أثره إلى علم الكلام؛ لأن العلماء الذين تخصصوا في الدفاع عن العقيدة

التمسوا في الفلسفة حججاً تفيدهم في مجادلة خصومهم، واستعانوا بالمنطق - أيضاً- في ترتيب الأدلة واستخراج النتائج منها، ووجد علماء الكلام في الفلسفة أموراً تخالف العقائد الإسلامية؛ فأوردها علماء الكلام في هذا العلم ليردوا عليها، واتخذوا الفلاسفة خصوماً يردّون عليهم مخالفاتهم، وذلك كمسألة قدم العالم، وعدم حشر الأجساد، ومن هنا جاء اختلاط علم الكلام بالفلسفة؛ لأن علماء الكلام استعانوا ببعض آراء الفلاسفة لنصرة العقائد الإسلامية.

وأول من قرأ الفلسفة ليستعين بها في نصرة الإسلام من المعتزلة: أبو الهذيل العلاف، والنظام، والجاحظ، وقد دافعوا عن الإسلام دفاعاً مجيداً ضد الثنوية من المزدكية والمانوية، والقائلين بالتعدد من الصابئة ومن سواهم، إلا أنهم اعتنقوا من الآراء الفلسفية ما يخالف عقائد الإسلام، كقولهم بنفي صفات المعاني، وقولهم بوجوب الصلاح والأصلح.

دور أبي الحسن الأشعري

قام الإمام الأشعري يناضل المعتزلة بالحجة وينصر مذهب أهل السنة، وكان أهل السنة قبل الأشعري لا يعتمدون إلا على النقل في أمور الاعتقاد، على حين أخذت الفلسفة توجه أهل الفرق إلى الاعتماد على

العقـل، فلما أخذ الأشعري في مناضلة المبتدعة بالعقل حفاظاً للسنة، جاء أنـصار مذهـبه مـن بعده يثبتون عقائدهم بالعقل تدعيماً لها، ومنعاً لإثارة الـشبه حـولها، ووضـعوا المقـدمات العقلـية التـي تـتوقف عليها الأدلة والأنظـار: مـثل إثـبات الجوهـر الفـرد، والخـلاء، وأن العرض لا يقوم بالعـرض، وأن بطـلان الدلـيل يـؤذن بـبطلان المدلـول، وهـذه طـريقة المتقدمـين، وعـلى رأسـهم القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ وإمـام الحـرمين أبـو المعالي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ ولم يكن المنطق منتشراً انتشاراً كبيراً حينئذ؛ لأنه كان جزءًا من الفلسفة.

ثم مارس أتباع الأشعري المنطق، وفرقوا بينه وبين الفلسفة، واتخذوه أساسـاً لاسـتدلالهم ومناظـراتهم عـلى العقائـد، وقرروا أن بطلان الدليل يـؤذن بـبطلان المدلـول الـذي يمكـن أن يثـبت بدليل آخر، وهذه طريقة المتأخـرين من أتباع الأشعري، وعلى رأس هؤلاء حجة الإسلام أبو حامد الغـزالي المـتوفى سـنة ٥٠٥هـ وتبعه الفخر الرازي، والقاضي البيضاوي، وعضد الدين الإيجي صاحب «المواقف»، وسعد الدين التفتازاني.

ملاحظات حول علم الكلام

قال العلامة المحقق ابن حجر الهيثمي من جواب طويل في «الفتاوى الحديثية» ما صورته:

«والذي صرح به أئمتنا - رحمهم الله - أنه يجب على كل أحد وجوباً عينياً أن يعرف صحيح الاعتقاد من فاسده، ولا يشترط فيه علمه بقوانين أهل الكلام؛ لأن المدار على الاعتقاد الجازم ولو بالتقليد على الأصح، وأما تعلم الحجج الكلامية والقيام بها للرد على المخالفين فهو فرض كفاية، اللهم إلا إن وقعت حادثة وتوقف دفع المخالف فيها على تعلم ما يتعلق بها من علم الكلام وآلاته - أي كالمنطق- فيجب عيناً على مَن تأهّل لذلك تعلمه للرد على المخالفين...».

إلى أن قال:

«(وما قيل): إنه بدعة؛ لأنه لم ينظر فيه السلف مع أنه يورث

المراء والجدال والشبهات: رُدّ بأنه نظر فيه السلف قطعاً، منهم: عمر، وابنه، وعلي، وابن عباس - رضي الله تعالى عنهم - ومن التابعين: عمر بن عبد العزيز، وربيعة، وابن هرمز، ومالك، والشافعي - رضي الله عنهم - وألّف مالك - رضي الله تعالى عنه - فيه رسالة قبل أن يولد الأشعري، وإنما نسب للاشعري؛ لأنه بيّن مناهج الأولين ولخّص موارد البراهين، ولم يحدث فيه بعد السلف إلا مجرد الألقاب والاصطلاحات، وقد حدث مثل ذلك في كل فن من فنون العلم. (والقول) بأن السلف نَهَوْا عن النظر فيه: باطل، وإنما الذي نهوا عنه علم الجهمية والقدرية وغيرهم من أهل البدع، وهم الذين ذمهم الشافعي وغيره من السلف» اهـ.

خاتمة

ملحوظات حول البحث:

أولاً: جمهور الأمة هو جمهور علمائها، فالأمة أشاعرة وماتريدية.

ثانياً: حصر بعضُ الفضلاء العلماءَ الذين بحثوا وتناولوا موضوعات العقائد وصنفوهم طبقاً لذلك، وقد أثبتوا أنهم يَصِلون إلى ٩٠٪، أو ٩٥٪ من علماء الأمة.

ثالثاً: باقي علماء الأمة من فقهاء ومحدثين ولغويين وغيرهم في اعتقاداتهم هم تبع لعلماء العقائد، والمخالف من هؤلاء لعلماء العقائد إنما يثبت خلافه بإعلانه.

رابعاً: خلاف الحشوية وجهلة المحدثين مع الأشاعرة في نقطتين:

أ- خلاف في موضوعات التشبيه والتجسيم، ورفضهم للتأويل، وزعمهم أن هذا نفي للصفات؛ لعدم قبول عقولهم بغير المحسوسات.

ب- خلاف في أسلوب علم الكلام والاستدلالات العقلية، ورفضهم لهذا الأسلوب والعلوم الناتجة عنه.

وهنا ملاحظة:

كثير من علماء الإسلام يتفقون مع الأشاعرة والماتريدية في هذه العلوم أو النتائج العقدية التي يثبتونها، كالإمام النووي، وابن الصلاح، والسيوطي، وغيرهم، مع تسجيل رفضهم لأسلوب علم الكلام.

فهؤلاء أشاعرة باعتبار النتائج المتفق عليها.

خامساً: آراء الأشاعرة والماتريدية العقدية متطابقة تماماً مع قطعيات النصوص والثوابت والقطعيات العقلية.

سادساً: عدم أخذهم بالظنيات في العقائد تطبيقاً للأمر الإلهي: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[2]، وقوله عن المشركين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[3].

سابعاً: أمرنا ﷺ باتباع جمهور الأمة الذي هو السواد الأعظم[4]، وفي هذا نص على صحة منهج الأشاعرة والماتريدية.

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٣) سورة النجم، الآية ٢٣.

(٤) «عليكم بالسواد الأعظم» رواه من حديث أنس: ابن ماجه (٣٩٥٠). أما الأمر بلزوم جماعة المسلمين (معنى ولفظاً) فهو منتشر في «الصحيحين» وغيرهما من كتب السنن.

سلسلة مفاهيم يجب أن تصحح

هذه المفاهيم

هذه السلسلة نبدأ فيها باستعراض مفاهيم جمهور الأمة المعصومة حول بعض النقاط أو الموضوعات، وكيف بنى الجمهور هذه المفاهيم واستمدها من نصوص الكتاب والسنة متدبراً لهما بالعقل الراجح الصحيح جيلاً بعد جيلٍ ناقلاً لنا هذه المفاهيم مع نصوص الكتاب والسنة منقياً لمفاهيمه من الأهواء والنزغات، فكان بحق معبراً عن خير أمة أخرجت للناس حفظ الله بها الدين﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾. لعل هذه السلسلة تكون بشير خير لمن يريد مراجعة مفاهيمه على ضوء الكتاب والسنة مستعيناً بإخوانه فإن يد الله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية والشاردة والشاذة.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دار الرازي
للطباعة والنشر والتوزيع

عمان . العبدلي . عمارة البنك الإسلامي
هاتف 4646116 - 6 - 00962 فاكس 4646106 - 6 - 00962
ص.ب 927601 عمان 11190 الأردن
e-mail: alrazi003@yahoo.com
www.al-razi.net